AL-'ABQARI JOURNAL VOL 6 2015: 161-179
ISSN: 2232-0431 / eISSN: 2504-8422
UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
PENERBIT USIM / USIM PRESS

الحديث النبوي الشريف وأثره في تطوير اللغة العربية

ناصر الدين إبراهيم أحمد[١]

ملخص

إن العلاقة بين الحديث النبوي الشريف واللغة العربية علاقة وطيدة، لا يمكن فك أحدهما عن الآخر في القضايا الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية وغيرها. فالنبي صلى الله عليه وسلم عربي، والقرآن الذي نزل عليه وأحاديثه الشريفة لا تفهم معانيهما فهما دقيقا إلا باللغة العربية. فلهذه العلاقة بين الحديث واللغة العربية قام الباحث بهذه المقالة الوجيزة لإبراز أثر الحديث النبوي الشريف في اللغة العربية عامة وفي المعاجم العربية خاصة. وتتناول هذه المقالة آراء العلماء في الاحتجاج بالحديث وأثر الحديث النبوي الشريف في الجوانب اللغوية المختلفة. كأثره في تطوير ألفاظ اللغة، وأثره في إثراء اللغة العربية بألفاظ جديدة وأثره في المعاجم العربية.

الكلمات المفتاحية: الحديث النبوي، اللغة العربية، المعاجم العربية.

Abstract

The relationship between the Hadīth and the Arabic language is a very close relationship, one of it cannot be separated of another; in acoustic, morphological, compositional, semantic and other issues. The Prophet (PBUH) is an Arab, the Holy Qur'ān that was revealed to him and his speeches cannot be understood properly except in Arabic. Based on the relationship between the Hadīth and the Arabic language, the researcher in this brief article highlights the impact of the Hadīth in Arabic language in general, and the Arab dictionaries

١ الجامعة الفدرالية، دتظي، ولاية جغاوا inasiruddeen@yahoo.com,

in particular. This article deals with the views of scholars regarding using the Hadīth as an evidence, and also the impact of the Hadīth in different linguistic aspects; like the impact of Hadīth in the development of language, its impact in enriching the new wording of the Arabic language and its impact in the Arab dictionaries.

Key words: the Hadīth of the Prophet, the Arabic language, the Arabic dictionaries.

تمهيد

اتفق العلماء قديما وحديثا على أن النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب والعجم. والحديث النبوي الشريف الذي هو أقواله وأفعاله وتقريراته صلى الله عليه وسلم[٢] هو في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث التشريع والاستشهادات الدينية. ولا يوجد خلاف بين العلماء في الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف في الشريعة الإسلامية واستنباط أحكامها جملة وتفصيلا، وكذلك في الاستشهاد في المعنى[٣] وهو ما يتعلق بالمعنى المعجمي والبلاغي لمفردات اللغة. ولكن موضع خلافهم يكون في الاحتجاج به في النحو وتقعيد القواعد.

هناك مناقشة حارة بين العلماء في الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف خاصة في المجال النحوي. منهم من أجاز الاستشهاد به مطلقا، أمثال ابن مالك ومن نهج منهجه، بحجة أن النبي صلى الله عليه وسلم أفصح الخلق. وكثير من رواة الحديث عرب فصحاء، ومن لم يكن العرب منهم فقد كان على معرفة تامة بالعربية. وكل ما حدث في الحديث من تبديل

٢ انظر أحمد يوسف أبو حلبية، أصول الحديث عند الإمام أبي حنيفة، ط١، دار الفكر، بيروت، ص: ٩

٣ انظر سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ط٣، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ص: ٤٦، ص: ١٦

الكلمة بالأخرى، لا يجرده من فصاحته. لأن ما يحدث للحديث فقد حدث للشعر، حيث توجد للبيت الواحد روايات مختلفة، وهذا لا يمنع العلماء من الاستشهاد به. مثال هذا ما ورد في قول الشاعر:

وما عليك إذا ما كنت جارتنا * ألا يجارونا إلاك ديار[٤]

وفي رواية أخرى:
..... * ألا يجاونا سواك ديار[٥]

وذلك باستخدام (إلاّك) في الرواية الأولى، و(سواك) في الرواية الأخرى.

ومنه قول الشاعر:
شربت الإثم حتى ضل عقلي * كذاك الإثم تفعل بالعقول[٦]

وفي الرواية الأخرى:
..... * كذاك الإثم تذهب بالعقول[٧]

وذلك باستخدام (تفعل) في الرواية الأولى، و(تذهب) في الرواية

٤ . انظر الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن، الإنصاف في نسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ط٢، دار الطلائع، القاهرة، ١٩٩٩م، ص: ٢١٠.

٥ . انظر العكبري أبو البقاء، مسائل خلافية في نحو، ط٣، مكتبة الصفا، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص: ٦٥.

٦ . انظر ابن فارس، المقاييس في اللغة، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٣٦٦هـ، باب الهمزة والثاء والميم.

٧ . انظر ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الإفريقي، لسان العرب، تحقيق مجموع من الباحثين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، باب الميم فصل الهمزة.

الأخرى.

ومن الأبيات الشعرية التي استشهد بها العلماء ما لم يعرف قائلها. وفي كتاب سيبويه خمسون بيتا لم يعرف قائلها، ومع ذلك اعتمد عليها العلماء في احتجاجاتهم النحوية واللغوية.

وهناك آيات قرآنية تخالف القواعد النحوية، ومع ذلك خرّجها العلماء على ما يوافق منهجهم النحوي. ومن هذه الآيات قوله تعالى: » ويل لكل همزة لمزة * الذي جمع مالا وعدده «.[٨] حيث جاء « الذي » بعد النكرة. وخرّجوها بأن « الذي » في الآية الكريمة « بدل » وليس « صفة ».[٩] ومنها قراءة من قرأ « إنّ هذان لساحران ».[١٠] وذلك بإثبات الألف في « هذان » مع أنه اسم « إن ». وخرّجوا هذه الآية بتخريجات مختلفة.

ولأجل الأمثلة التي أوردناها رأى الذين أجازوا الاستشهاد بالحديث أن حجة من أنكر الاستشهاد به حجة واهية.
وهناك فريق من العلماء أنكروا الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في تقعيد القاعدة، منهم أبو حيان الذاهب إلى أن النحاة الأوائل تركوا الاستشهاد بالحديث، لأن أغلب رواة الحديث ليسوا بالعرب، وهناك روايات بالمعنى فيما رووه.[١١] ولذلك يوجد حديث واحد بروايات مختلفة، مثل: أعطيتكها بما معك من القرآن، وملكتكها بما معك من

٨ . سورة الهمزة، الآية: ١-٢.

٩ . انظر ابن هشام عبد الله بن جمال الدين الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٧٢م، ج٢، ص: ٩٢

١٠ . سورة طه الآية: ٦٣.

١١ . انظر تمام حسان، الأصول: دراسة إستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي، دار الثقافة، المغرب، ط١، ١٩٩١م، ص: ١٠٦.

القرآن، وزوجتكها بما معك من القرآن،[١٢] وخذها بما معك من القرآن، وغير ذلك من الألفاظ الورادة في هذه القصة. و «من المعلوم يقينا أنه صلى الله عليه وسلم لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ، بل لا يجزم بأنه قال بعضها، إذ يحتمل أنه قال لفظا مرادفا لهذه الألفاظ، فأتت الرواة بالمرادف، ولم تأت بلفظه».[١٣]

وكما ذهبوا إلى أن هناك أخطاء لا يمكن صدورها من النبي صلى الله عليه وسلم. ومما لا جدال فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أفصح الناس، فلم يكن ليتكلم إلا بأفصح اللغات، وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها، «لأنه صلى الله عليه وسلم كان قريشا، وقريش أفصح العرب لإجماع العلماء بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغتهم وأيامهم».[١٤]
قد اعترف بعض الرواة بوقوع اللحن في بعض رواياتهم ونقولهم. منه قول أبي طاهر: «حدثنا أبو طاهر، حدثنا أبو بكر، قال أبو زيد: قال لي عفان: كان يزيد بن أبي عمر إذا حدث عن الحسن أعرب وإذا حدث عن ابن سيرين يلحن».[١٥]
وقول الآخر: «حدثنا أبو طاهر عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم المقري، حدثنا أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل التوزي، حدثنا عمر بن شيبة، حدثنا عفان قال: قال همام: ما حدثتكم عن

١٢ . ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام: شرح عمدة الأحكام، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج١، ص: ١٨٣

١٣ . السيوطي عبد الرحمن جلال الدين، الاقتراح في أصول النحو، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص: ٥٦.

١٤ . السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد مولى، دار الفكر بيروت – لنان، ١٩٩٣م. ج٢، ص: ٢١٠.

١٥ . أبو طاهر عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم المقري، أخبار النحويين، تحقيق أ.د محمد إبراهيم البنا، ط١، دار الاعتصام، القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص: ١٩.

al-abqori vo 6.indd 165 12/22/15 5:04 PM

قتادة ملحونا فأعربوه، فإن قتادة كان لا يلحن».[١٦]

والواضح في هاتين الروايتين أن اللحن وقع حقيقة في بعض الأحاديث من قبل الرواة. ومن أمثلته: « إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون»[١٧] حيث جاء «المصورون» بالواو بدلا من الياء، لأنه اسم (إن)، واسم إن إذا كان جمع المذكر السالم وجب أن يكون بالياء لا بالواو.[١٨] ومنه ما ذكره السيوطي في قوله صلى الله عليه وسلم: » لولا قومك حديثو عهد بكفر لأسست البيت على قواعد إبراهيم»[١٩] وذلك بذكر المبتدإ والخبر بعد لولا، والأصح أن يذكر المبتدأ فقط. وعلق السيوطي على هذا الحديث قائلا: » إن هذا الحديث حرفته الرواة بدليل أن في بعض رواياته[٢٠]: » لولا حدثان قومك بكفر لأسست البيت على قواعد إبراهيم».[٢١]

وذكر الدكتور رمضان عبد التواب من اللغويين المحدثين علة، ربما دفعت النحاة الأوائل إلى عدم الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف قائلا: » ولعل السبب الحقيقي في بعد النحويين الأوائل عن استشهاد بالحديث، إيثارهم الابتعاد عن موطن نزل في الأقدام، بعد شيوع الوضع في الحديث، في العصور الإسلامية الأولى، وكثرة اتهام بعض الناس

١٦ . المرجع نفسه، ص: ٢٠.

١٧ . القاضي، أبو الفضل عياض، إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، ط٣، دار الطلائع، القاهرة، ج٣، ص: ٢٦٦

١٨ . انظر ابن هشام جمال الدين الأنصار، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ط٢، دار المنار القاهرة، ٢٠٠١م، ص: ٦٥.

١٩ . القاضي عياض، المرجع السابق، ج٥، ٢١٩

٢٠ . السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ط١، المكتبة التوقيفية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ج١، ص: ١٠٥

٢١ . القاضي عياض المرجع السباق، ج٥، ص: ٢١٧

لبعض بهذا الوضع».[٢٢]

وهناك المتوسطون من العلماء أجازوا الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، ووضعوا شروطا وضوابط لأمثال هذه الأحاديث وهي:

١. الأحاديث المتواترة المشهورة.
٢. الأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات.
٣. الأحاديث التي تعد من جوامع الكلم.
٤. كتب النبي صلى الله عليه وسلم.
٥. الأحاديث المروية لبيان أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كل قوم بلغتهم.
٦. الأحاديث التي عرف من حال رواتها أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى.
٧. الأحاديث المروية من طرق متعددة وألفاظها واحدة.[٢٣]

ومهما يكن من أمر، فإن الحديث النبوي الشريف قد أسهم إسهامات لا يستهان بها في تطوير اللغة العربية وإثرائها بالألفاظ الجديدة وتنقيح بعض مفرداتها. فالنبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب، وإضافة إلى ذلك إنه لا ينطق عن الهوى، فإنما قوله وحي وإلهام من ربه جل وعلا، وهذا ما يميز كلامه صلى الله عليه وسلم من سائر الكلام، وجعله أبلغ وأفصح.

٢٢ . تمام حسان، فصول في فقه العربية، ط٦، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص: ٩٧

٢٣ . انظر خديجة الحديثي، دراسات في كتاب سيبويه، ط١، دار الغريب، القاهرة، ١٩٨٠م، ص: ٥٩.

وعلى الدارسين، خاصة النحاة، أن يحاولوا تخريج الأحاديث المخالفة لقواعدهم، حتى تلائم أقيستهم النحوية، كما فعلوا في بعض الآيات القرآنية، والأبيات الشعرية. إنه شيء عجيب أن يستشهد بأقوال الكفار والصغار والمجانين، ويترك كلامه صلى الله عليه وسلم.

أثر الحديث في تطوير الألفاظ العربية:

لما كان الحديث النبوي الشريف شرحا وافيا للقرآن الكريم والأحكام الشرعية جملة وتفصيلا، ومصدرا مهما من مصادر الاحتجاج اللغوي، فلا غرابة إذا رأينا الحديث يطور معاني بعض الألفاظ العربية ويضيف إليها معاني جديدة. وهذه الألفاظ هي التي تعرف بالألفاظ الإسلامية. قال ابن فارس: »كانت العرب في الجاهلية على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر، بزيادة زيدت وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفى الآخر الأول«.[٢٤]

ومن الألفاظ التي طورها الحديث: المؤمن والإسلام والمسلم والكافر والمنافق. وإن العرب عرفوا «المؤمن» من الأمان والإيمان وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمنا. منها أن يؤمن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، قلبا ولسانا وتطبيقا.

كذلك «الإسلام والمسلم»، إنما عرف العرب من الإسلام إسلام شيء، أي خلوه من الخلل والفساد. ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء، منها

٢٤ . ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق السيد أحمد صقر، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٧٧م، ص: ٤٤.

الخضوع التام لأوامر الله سبحانه وتعالى، واتباع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها من الحلال والحرام.

والعرب لم تكن تعرف من «الكفر» إلا الغطاء والستر، كما في قوله تعالى: » ليغيظ بهم الكفار «،[٢٥] الفلاحون الذين يجعلون الحبوب في خبايا الأرض. وجعل الإسلام «للكافر» معنى جديدا وهو من كتم نعمة الإسلام ويظهر ضدها، ويقتل من آمن بالله سرا أو علانية.[٢٦]

ومنها «الصلاة»، وأصلها في لغتهم الدعاء. وصارت عبادة مخصوصة تؤدى بأسلوب خاص، تبدأ بتكبير الإحرام وتنتهي بالتسليم. فإن «الصيام» عند العرب يعني الإمساك عن فعل شيء، ثم زادت الشريعة النية، وحظرت الأكل والشرب والمباشرة وغيرها – من شرائع الصوم – من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. وكذلك «الحج» الذي يعني القصد ثم زادت الشريعة ما زادت من شرائط الحج وشعائره، وذلك من إحرام وطواف وسعي ورمي ووقوف بعرفة ونحر وهدي وتحليق الرأس وتقصير الشعر وغيرها. وكذلك الزكاة التي لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء، وصارت جزءا مخصوصا يخرج من مال مخصوص في وقت مخصوص.[٢٧]

واختلف علماء اللغة القدامى في هذه الأسماء. هل نقلت من اللغة إلى الشرع؟ ذهب الفقهاء والمعتزلة إلى أن من الأسامي ما نُقِل كالصوم والصلاة والزكاة والحج وغيرها. وذهب بعضهم إلى أن الأسماء باقية

٢٥ . سورة الفتح الآية: ٢٩.

٢٦ . انظر حسين حامد الصالح، التأويل اللغوي في القرآن الكريم، دراسة دلالية، ط١، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص: ٤٢.

٢٧ . انظر السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المرجع السابق، ج١، ص: ٢٩٥.

al-abqori vo 6.indd 169 12/22/15 5:04 PM

على وضعها اللغوي غير منقولة. وأورد السيوطي قول ابن برهان في هذه المسألة قائلا: » والأول هو الصحيح، وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نقلها من اللغة إلى الشرع «.[٢٨]

أثر الحديث في إثراء اللغة العربية:

للحديث النبوي الشريف دور فاعل في إثراء اللغة العربية وتزويدها بالألفاظ الجديدة، والعبارات التي لم تكن العرب على علم بها من قبل. ومن هذه الألفاظ: الجاهلية، والمنافق، والفاسق، والضراح، والتفث، والصير، والزمارة، وغيرها.

ومن العبارات: الحرب خدعة،[٢٩] ومات حتف أنفه،[٣٠] والآن حمي الوطيس،[٣١] وغيرها.

ذهب العلماء إلى أن لفظ الجاهلية اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة. والمنافق اسم إسلامي لم يعرف في الجاهلية، وهو من دخل في الإسلام بلسانه دون قلبه. والفاسق لم يسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم حسب قول ابن الأعرابي.[٣٢] فإنه لفظ حدث مع الإسلام.

٢٨ . المرجع نفسه، ص: ٢٩٨.

٢٩ . الشيباني، عبد الله بن أحمد بن حنبل، السنة، ط١، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٦هـ، ج٢، ص: ٥٦٥.

٣٠ . الخراساني، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، شعب الإيمان، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط١، مكتبة الرشد للنشر التوزيع، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج٣، ص: ٤٢.

٣١ . الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الأوسط، تحقيق حمدي بنعبد المجيد السلفي، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ج٥، ص: ٢٠.

٣٢ . السيوطي، المرجع السابق، ج ١، ص: ٣٠١.

وكلمة الضراح[٣٣] لم يعرف تفسيرها إلا من الحديث. وهو بيت في السماء بإزاء الكعبة.[٣٤] وقال أبو عبيد: «الصير»[٣٥] في الحديث يعني شق الباب، ولم يسمع هذا الحرف قط قبله صلى الله عليه وسلم. ومنها الزمارة[٣٦] أي الزنى. فإنه لفظ إسلامي لم يعرف في الجاهلية. ولفظ «التفث»[٣٧] في المناسك: ما كان من نحو قص الأظفار والشارب وحلق الرأس والعانة ورمي الجمار ونحر البدن وأشباه ذلك. إن هذه الكلمة لم ترد في شعر من يحتج به، فإنما وردت في الحديث النبوي الشريف.[٣٨]

إذا مات الإنسان عن غير قتل قيل: مات حتف أنفه.[٣٩] وأول من تكلم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم. إذا كان الفرس لا ينقطع جريُه فهو

---

٣٣ . أخرج ابن جرير من طريق خالد بن عرعرة : « أن رجلا قال لعلي رضي الله عنه : ما البيت المعمور ؟ قال : بيت في السماء يقال له الضراح و هو بحيال الكعبة من فوقها ، حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ، و لا يعودون فيه أبدا « . (سلسلة الأحاديث الصحيحة).

٣٤ . السيوطي، المرجع السابق، ج، ١ ص: ٣٠٢.

٣٥ . قال الإمام : قولها : (وائا أنظر من صائر الباب! وهو شق الباب ، والصواب صير الباب – بكسر الصاد ، وفي حديث آخر : (من اطلع من صير باب فقد دمر) تفسيره فى الحديث أن الصير الشق ، ودفَرَ : دخل بغير إذن .(كمال المعلم، شرح صحيح مسلم، القاضي عياض).

٣٦ . أخبرنا عبد الصمد بن عبد الوارث نا القاسم بن الفضل حدثني أبي عن معاوية المهدي قال قال لي أبو هريرة يا مهدي : نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن كسب الحجام وعن ثمن الكلب وعن كسب الزمارة وعن عسب الفحل. (مسند إسحاق بن راهويه، ج١، ص: ١٨٨).

٣٧ . حدثنا أبو بكر قال نا ابن نمير عن عبد الملك عن عطاء عن ابن عباس قال : التفث الرمي والذبح والحلق والتقصير والاخذ من الشارب والاظفار واللحية.(مسند ابن أبي شيبة، ج٤، ص: ٥٣٢).

٣٨ . السيوطي، المرجع السابق، ج١، ص: ٣٠٤

٣٩ . انظر الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، فقه اللغة وأسرار العربية، ط١، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٩٧م، ص: ٨٥.

al-abqori vo 6.indd 171 12/22/15 5:04 PM

بحر، شبه بالبحر الذي لا ينقطع ماؤه، وأول من تكلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف فرس ركبه.[٤٠] ومن الألفاظ التي لم تسمع من عربي قبله صلى الله عليه وسلم «لا ينتطح فيها عنزان». و «الآن حمي الوطيس» و «إياكم وخضراء الدمن»، وغيرها.

أثر الحديث في المعاجم العربية:

إن من مهمات الحديث النبوي الشريف توضيح الغموض وشرحه وبيان المجهول من الأمور الدينية واللغوية. فلا غرابة إذا رأينا الحديث النبوي الشريف يوضح معاني الكلمات العربية سواء كانت معاني تلك الكلمات معروفة لدى العرب ويأتي الحديث بتعريف آخر لها، كما في كلمة «المفلس» التي عرفها الصحابة بفناء المال، وعرفها الرسول صلى الله عليه وسلم تعريفا دينيا غير ما عرفها الصحابة. أم كانت الكلمة غير معروفة لدى العرب من قبل، كما في كلمة السقارة التي تعني قوما تحيتهم بينهم إذا تلاقوا الملاعنة.

فالحديث النبوي الشريف هو النواة الأولى لنشأة المعاجم العربية، فإنه جاء بتعريفات عديدة لكلمات اللغة، وعرف الكلمة بالكلمة، كما عرفها بالشرح، وجاء كذلك بتعريفات اصطلاحية. فإن أسلوب الحديث في تعريف الكلمات رائع جدا، وهذا ما دفع أصحاب المعاجم إلى اقتفاء أثره في تعريفهم لمداخل معاجمهم. إذ ما سبق أن رأينا من العرب من قد قام بتعريف الكلمات تعريفا علميا ومنهجيا كما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة.

ومن تعريفاته صلى الله عليه وسلم قوله: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا، يُرْفَعُ

٤٠ . انظر السيوطي، المزهر في علوم اللغةوأنواعها، المرجع السابق، ج١، ص: ٣٠٢.

فِيهَا الْعِلْمُ وَيَكْثُرُ فِيهَا الهَرْجُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ».[41]

فكلمة «الهرج» فسرت في هذا الحديث بالقتل. وقد فسرها بعض المعاجم بالفتنة والاختلاط.[42] وفسرها ابن منظور في لسان العرب بالاختلاط والفتنة في آخر الزمان وشدة القتل.[43] وفي المعجم الوسيط، فسرت بالوقوع في فتنة واختلاط وتقاتل.[44]

وإن معاني كلمة «الهرج»، حسب ورودها في هذه التعريفات، لا تخرج عن دائرة القتل والفتنة والاختلاط. وهذه إشارة واضحة إلى أن أصحاب المعاجم تأثروا إلى حد ما بالحديث النبوي الشريف في تعريف هذه الكلمة. وذلك أن الاختلاط والفتنة والتقاتل تؤدي في الغالب إلى القتل. وتفسيرها بالقتل كما ورد في الحديث النبوي الشريف يشمل أنواع القتل ومسبباته.

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لأعرابي جاء إليه وسأله قائلا: ما الصور؟ قال: قرن ينفخ فيه.[45] فسر لفظ الصور في الحديث النبوي

٤١ . الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، ١٩٩٤م، سنن الترمذي، تحقيق صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر، بيروت لبنان، ط١، رقم الحديث: ٢٢٠٧ كتاب الفتن، باب ما جاء في الهرج والعبادة فيه.

٤٢ . الرازي، محمد أبو بكر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، مختار الصحاح، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، مادة الهاء والراء والجيم.

٤٣ . ابن منظور، المرجع السابق، باب الجيم فصل الهاء.

٤٤ . مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م، المعجم الوسيط، القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م. مادة الهاء والراء والجيم.

٤٥ . الترمذي، المرجع السابق، رقم الحديث: ٢٤٣٨ كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصور.

الشريف بأنه قرن ينفخ فيه، وعرفه بعض العلماء بأنه قرن،[٤٦] وذهب بعض إلى أنه شيء كالقرن ينفخ فيه.[٤٧] أو بوق كالقرن ينفخ فيه.[٤٨] فهذه التعريفات تدور حول شيء واحد، وهو شيء ينفخ فيه. وهذا دلالة واضحة إلى أن أصحاب المعاجم تأثروا تأثرا كبيرا بالحديث النبوي الشريف في تعريفه لكلمة الصور.

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم :إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَبْلِه نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ. وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ (كَلاَ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).[٤٩]

عرفت كلمة «الران» في الحديث النبوي الشريف بأنها نكتة سوداء تنكت في قلب العبد إذا أخطأ خطيئة حتى تعلو قلبه. وذهب بعض المعاجم إلى أنها «الذنب على الذنب حتى يسودّ القلب».[٥٠] وقيل: إنها قسوة القلب لاقتراف الذنب بعد الذنب.[٥١] ومن العلماء من فسر «ران» بالدنس والخبث، نحو: ران الثوب: تدنس. ورانت النفس: خبثت. كما أنها قد تعني قسوة القلب لاقتراف الذنب بعد الذنب.[٥٢] وذكر ابن فارس بأن مادة (الراء والياء والنون) تدل على غطاء وستر، فالرين يعني الغطاء على الشيء، ومنه رانت نفسي ترين أي غطت،

٤٦ . ابن منظور، المرجع السابق، باب الراء فصل الصاد.

٤٧ . جبران، مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٤م، مادة الصادة والواو والراء.

٤٨ . مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المرجع السابق، مادة الصاد والواو والراء.

٤٩ . الترمذي، المرجع السابق،رقم الحديث: ٣٣٤٥ كتاب التفسير، باب ومن سورة ويل للمطففين.

٥٠ . الرازي، المرجع السابق، مادة (ر ي ن).

٥١ . مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المرجع السابق، مادة (ر ي ن).

٥٢ . مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المرجع السابق، مادة (الراء والياء والنون).

ورانت الخبث على قلبه: غلبت.[٥٣]

فهذه التعريفات متفقة في الأشياء، وهي: الذنب على الذنب، وغلبة شيء على القلب، واسوداد القلب. وإنها إذاً توضيح وشرح لتعريف النبي صلى الله عليه وسلم لـ»ران» الذي ورد في الحديث السابق ذكره. وذلك أن الذنب إذا غلب على قلب صاحبه يخبثه ويدنسه ويزداد دنسا وخبثا حتى يغطيه ولا يرى نور البصيرة، ويتمادى صاحبه في التمرد. ومنها قوله رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما أمر بِقَتْلِ الْأَسْوَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ: وهما الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ.[٥٤]

شرح الأسودان في ا لحديث الشريف ليعني الحية والعقرب. وعرف بالحية والعقرب في المعجم الوسيط.[٥٥] وهذا تأثّر مباشر بالحديث النبوي الشريف. وقد استفادت المعاجم العربية من الحديث النبوي الشريف من هذه الناحية من حيث أن أصحابها قاموا بتعريف مداخل معاجمهم اعتمادا على أساليب الحديث النبوي الشريف في تعريفاته لمفردات اللغة.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن بطون المعاجم العربية، قديما وحديثا، مملوءة بالأحاديث النبوية الشريفة، اعتمدها أصحاب هذه المعاجم في شرح مفردات اللغة. منها قول الرازي: وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال لرجل أشار بسبابتيه في التشهد «أحد

٥٣ . ابن فارس، المقاييس في اللغة، المرجع السابق، باب الراء والياء وما يثلثهما.

٥٤ . الترمذي، المرجع السابق،رقم الحديث: ٣٩٠، كتاب الصلاة، باب ما جاء ي قتل الأسودين في الصلاة.

٥٥ . مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المرجع السابق، مادة (س و د).

أحد ».[٥٦]وقوله: وفي الحديث « المؤمن كالجمل الأنف إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة انتاخ »[٥٧]وقوله « وفي الحديث: خير بئر في الأرض زمزم وشر بئر في الأرض برهوت.[٥٨]

وفي المعجم الوسيط أمثلة كثيرة للاستشهاد بقوله صلى الله عليه وسلم، منها: وفي الحديث: أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «إن الأبعد قد زنى ».[٥٩] ومنها: وفي الحديث: »جدب لنا عمرالسمر بعد عتمة ».[٦٠] ومنها: وفي الحديث: » قال لأم قيس: علام تدغرن أولادكن بهذه العلق ».

الخاتمة

حاول الباحث في خلال هذه المقالة إبراز ما للحديث النبوي الشريف من الأثر الفعال في اللغة العربية من النواحي المختلفة. واستطاع الباحث أن يورد آراء العلماء في الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف. وجاء بأمثلة عديدة لما للحديث من الآثار المختلفة في اللغة العربية، وذلك بتزويدها بالمفردات والتعبيرات الجديدة، وتثقيف بعض ألفاظها. وذكر أثر الحديث في المعاجم العربية.

وقد وضحت هذه المقالة دورا فعالا قام به الحديث النبوي الشريف في اللغة العربية توثيقا وتطورا. وعلى الدارسين أن يحاولوا الدفاع عن الحديث النبوي الشريف من الناحية اللغوية كما دفعوا عنه في الناحية الشرعية.

---

٥٦ . الرازي، المرجع السابق، مادة (أ ح د).

٥٧ . المرجع نفسه، مادة (أ ن ف).

٥٨ . المرجع نفسه، مادة (ب ر ه).

٥٩ . مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المرجع السابق، مادة (ب ع د).

٦٠ . المرجع نفسه، مادة (ج د ب).

المراجع

ابن دقيق العيد (١٩٨٨م)، إحكام الأحكام: شرح عمدة الأحكام، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، (١٩٧٧م)، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق السيد أحمد صقر، ط١، دار إحياء الكتب العربية.

ابن فارس أحمد (١٣٦٦ه)، المقاييس في اللغة، دار الفكر، بيروت – لبنان.

ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الإفريقي (١٩٧٩م)، لسان العرب، تحقيق مجموع من الباحثين، دار المعارف، القاهرة.

ابن هشام جمال الدين الأنصاري (٢٠٠١م)، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ط٢، دار المنار القاهرة.

ابن هشام عبد الله بن جمال الدين الأنصاري (١٩٧٢م)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ط١، دار الفكر، بيروت.

أبو الفضل عياض (١٩٩٨م)، إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، ط٣، دار الطلائع، القاهرة.

أبو طاهر عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم المقري (١٩٨٨م)، أخبار النحويين، تحقيق أ.د محمد إبراهيم البنا، ط١، دار الاعتصام، القاهرة.

أحمد يوسف أبو حلبية (١٩٩١م)، أصول الحديث عند الإمام أبي حنيفة، ط١، دار الفكر، بيروت.

الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن (١٩٩٩م)، الإنصاف في نسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ط٢، دار الطلائع، القاهرة.

al-abqori vo 6.indd 177 12/22/15 5:04 PM

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (١٩٩٤م)، سنن الترمذي، تحقيق صدقي محمد جميل العطار، ط١، دار الفكر، بيروت لبنان.

تمام حسان (١٩٩١م)، الأصول: دراسة إستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي، ط١، دار الثقافة، المغرب.

تمام حسان (١٤٢٠ه/١٩٩٩م)، فصول في فقه العربية، ط٦، مكتبة الخانجي، القاهرة.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (١٩٩٧)، فقه اللغة وأسرار العربية، ط١، مكتبة القرآن، القاهرة.

جبران، مسعود (١٩٦٤م)، الرائد معجم لغوي عصري، ط١، دار العلم للملايين، بيروت.

حسين حامد الصالح (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، التأويل اللغوي في القرآن الكريم، دراسة دلالية، ط١، دار ابن حزم، بيروت لبنان.

خديجة الحديثي (١٩٩٢م)، دراسات في كتاب سيبويه، ط١، دار الغريب، القاهرة.

الخراساني، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (١٤٢٣ه/٢٠٠٣م)، شعب الإيمان، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط١، مكتبة الرشد للنشر التوزيع، الرياض.

الرازي، محمد أبو بكر (١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، مختار الصحاح، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

سعيد الأفغاني (١٣٨٣ه/١٩٦٣م)، في أصول النحو، ط٣، دار الفكر، بيروت – لبنان.

السيوطي عبد الرحمن جلال الدين (١٤٢٠ه/١٩٩٩م)، الاقتراح في أصول النحو، مكتبة الصفا، القاهرة.

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (١٩٩٣م)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد مولى، دار الفكر بيروت – لنان.

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (٢٠٠٠م)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ط١، المكتبة التوقيفية، القاهرة.
الشيباني، عبد الله بن أحمد بن حنبل (١٤٠٦هـ)، السنة، ط١، دار ابن القيم، الدمام.
الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (١٤٠٤ه/١٩٨٣م)، المعجم الأوسط، تحقيق حمدي بنعبد المجيد السلفي، ط٢، دار الفكر، بيروت.
العكبري أبو البقاء (٢٠٠٤م)، مسائل خلافية في نحو، ط٣، مكتبة الصفا، القاهرة.
مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٣٩٣هـ/١٩٧٢م)، المعجم الوسيط، القاهرة.